وذكر بعض أكابر الصوفية ما يقرب من هذا وهو : إن الرؤيا من أحكام حضرة المثال المقيد المسمى بالخيال وهو قد يتأثر من العقول السماوية والنفوس الناطقة المدركة للمعاني الكلية والجزئية فيظهر فيه صور مناسبة لتلك المعاني وقد يتأثر من القوى الوهمية المدركة للمعاني الجزئية فقط فيظهر فيه صورة تناسبها وهذا قد يكون بسبب سوء مزاج الدماغ وقد يكون سبب توجه النفس بالقوة الوهمية إلى إيجاد صورة من الصور كمن يتخيل صورة محبوبه الغائب عنه تخيلا قويا فتظهر صورته في خياله فيشاهده وهي أول مبادي الوحي الإلهي في أهل العناية لأن الوحي لا يكون إلا بنزول الملك وأول نزوله في الحضرة الخيالية ثم الحسية وقد صح عن عائشة رضي ا تعالى عنها أنها قالت : أول ما بديء به رسول ا صلى ا تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والمرئي على ما قال بعضهم : سواء كان على صورته الأصلية أولا قد يكون بإرادة المرئي وقد يكون بإرادة الرائي وقد يكون بإرادتهما معا وقد يكون لا بإرادة من شيء منهما فالأول كظهور الملك على نبي من الأنبياء عليهم السلام في صورة من الصور وظهور الكمل من الأناسي على بعض الصالحين في صور غير صورهم والثاني كظهور روح من الأرواح الملكية أو الإنسانية باستنزال الكامل إياه إلى عالمه ليكشف معنى ما مختصا علمه به والثالث كظهور جبريل عليه السلام للنبي صلى ا تعالى عليه وسلم بإنزاله إياه وبعث الحق سبحانه إياه صلى ا تعالى عليه وسلم والرابع كرؤية زيد مثلا صورة عمرو في النوم من غير قصد وإرادة منهما وكانت رؤية يوسف عليه السلام من هذا القسم لظهور أنها لو كانت بإرادة الأخوة لعلموا فلم يكن للنهي عن الإقتصاص معنى ويشير إلى أنها لم تكن بقصده قوله بعد : قد جعلها ربي حقا .

هذا والمنقول عن المتكلمين أنها خيالات باطلة وهو من الغرابة بمكان بعد شهادة الكتاب والسنة بصحتها ووجه ذلك بعض المحققين بأن مرادهم أن كون ما يتخيله النائم إدراكا بالبصر رؤية وكون ما يتخيله إدراكا بالسمع سمعا بطل فلا ينافي حقية ذلك بمعنى كونه إمارة لبعض الأشياء كذلك الشيء نفسه أو ما يضاهيه ويحاكيه وقد مر الكلام في ذلك فتيقظ .

والمشهور الذي تعاضدت فيه الروايات أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ووجه ذلك عند جمع أنه صلى ا تعالى عليه وسلم بقي حسبما أشارت عائشة رضي ا تعالى عنها ستة أشهر يرى الوحي مناما ثم جاء الملك يقظة وستة أشهر بالنسبة إلى ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا .

وذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه E على ستة وأربعين نوعا : مثل النفث في الروع وتمثل

الملك بصورة دحية رضي ا تعالى عنها مثلا وسماعه مثل صلصلة الجرس إلى غير ذلك ولذا قال صلى ا تعالى عليه وسلم ما قال وذكر الحافظ العسقلاني أن كون الرؤيا الصادقة جزء من كذا من النبوة إنما هو باعتبار صدقها لا غير وإلا لساغ لصاحبها أن يسمى نبيا وليس كذلك وقد تقدم لك أن في بعض الروايات ما فيه مخالفة لما في هذه الرواية من عدة الأجزاء ولعل المقصود من كل ذلك على ما قيل : مدح الرؤيا الصادقة والتنويه برفعة شأنها لا خصوصية العدد ولا حقيقة الجزيئة .

وقال ابن الأثير في جامع الأصول : روى قليل أنها جزء من خمسة وأربعين جزءا له وجه مناسبة بأن عمره صلى ا تعالى عليه وسلم لم يستكمل ثلاثا وستين بأن يكون توفي E بأثناء السنة الثالثة والستين